

دراسة نقدية للتفسير العلمي في العصر الحديث

جامبانج داديونو

المعهد العالي للدراسات الإسلامية واللغة العربية بمكسر
البريد الإلكتروني: gampang@stiba.ac.id

أحمد أبو بكر

جامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية بمكسر
البريد الإلكتروني: achmad.abubakar@uin-alauddin.ac.id

محمد يوسف

جامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية بمكسر
البريد الإلكتروني: muhammadyusuf@uin-alauddin.ac.id

المستخلص

تظهر أهمية الدراسة في هذا الموضوع وهو التفسير العلمي التي توضح موقف العلماء المعاصرين تجاه هذا اللون من التفسير، وسيكون التركيز في هذا البحث على المعارضين منهم لإزالة الوهم وإيصال اليقين عند هؤلاء الذين قد يقع فيهم تساؤلات عن هذا، وليبين لهم على الوجه الأوضح والأكمل والأسهل ليتأمل المتأمل فيه ثم يقف أعدل الموقف فلا يميل إلا ميلا يستفيد منه هو ويفيد بمرؤء غيره فائدة ترضي رب العالمين. وقد اتبعت المنهج الاستقرائي، التحليلي النقدي، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث: التفسير العلمي ينبغي الحذر منه، فالأخذ به لا بد مع دقة في التنبيه، فالرأي المعتدل في هذا اللون من ألوان التفسير المعاصرة هو الجواز ولكن مع مراعاة الأمور التي بما يكون التفسير صحيحا مقبولا. لا يقال إنه مردود مطلقا أو مقبول بدون أي شروط. فلا بد أن يكون التفسير العلمي بعيدا عن حمل الألفاظ فوق ما تطبق، كما أنه لا يجب الصرف عن المعنى الظاهر إلا عند الضرورة، وذلك يكون عند استحالة المعنى الظاهر.

الكلمات الدالة: دراسة نقدية ، التفسير العلمي ، العصر الحديث

A CRITICAL STUDY OF CONTEMPORARY SCIENTIFIC EXEGESIS

Gampang Dadiyono

Sekolah Tinggi Ilmu Islam dan Bahasa Arab (STIBA) Makassar
Email: gampang@stiba.ac.id

Achmad Abubakar

Universitas Islam Negeri (UIN) Alauddin Makassar
Email: achmad.abubakar@uin-alauddin.ac.id

Muhammad Yusuf

Universitas Islam Negeri (UIN) Alauddin Makassar
Email: muhammadyusuf@uin-alauddin.ac.id

Abstract

The significance of this research lies in its focus on contemporary scientific exegesis, which addresses the stance of modern scholars on this method of interpretation, particularly those who oppose it. The research aims to clarify doubts, provide accurate information to those who are confused on the matter, and present a clear, comprehensive, and accessible explanation, enabling thinkers to reflect and adopt the most appropriate stance—one that leans toward what is beneficial for them and others, and that is pleasing to the Lord of all worlds. The researcher uses inductive, analytical, and critical approaches. Among the findings are: the method of scientific exegesis must be approached with caution, and its steps should be carefully considered. The moderate view on this method is that it is permissible, but only when conditions are met to ensure that the interpretation is valid and acceptable. It is neither absolutely rejected nor accepted without reservations. Scientific exegesis should avoid excessive claims, and the apparent meaning of the text should not be diverted to another meaning unless absolutely necessary—such as when the literal meaning is impossible to accept.

Keywords: Critical study, exegesis, contemporary

المقدمة

المؤلفات في تفسير القرآن في بداية تأليفها يقصد الإمام بمعانيه وكان في أول مرة يشمل موضوعا معيناً بجزء فأكثر ما يشمل ذلك الموضوع، فألفت كتب في معاني القرآن مثلاً، أو كتب أخرى في مجازة أو متشابهة أو غريبه وناسخه ومنسوخه أو في أحكامه وغير ذلك من الموضوعات المدروسة عادة في كتب علوم القرآن.

وبعد مرور هذه المرحلة الأولى بدأ بعض العلماء في تأليف التفاسير الشاملة للموضوعات المهمة المتعلقة بالقرآن، فيها موضوع متعلق باللغة والبلاغة والتشريع وغيرها كالمؤلفات المعروفة بين أيدينا مثل تفسير ابن عطية وأبي حيان والطبري والقرطبي وغير ذلك.

ومما يظهر إلى اليوم تصنيفات في موضوعات معينة وهي بدأت منذ العصور السابقة، وذلك كتأليفات في تفسير آيات الأحكام، فإننا نجد مؤلفات في ذلك عديدة وهي تمل مؤلفات قديمة وحديثة، وإلى عصرنا الحاضر لا يزال التأليف في ذلك مستمرا.

ولا يخفى على طلاب علوم القرآن والتفسير أن مما يستمر فيه النقاش إلى يومنا هذا هو ما يسمى بالتفسير العلمي، فإن ذلك بدأ منذ عهد الإمام الغزالي إلى هذا العصر، وهو من قال به، ونهج نحوه كثير من السابقين كالرازي وغيره، وأما المعارضون منهم لهذا النوع من التفسير فالشاطبي، ويشترك معه في هذا الرأي أبو حيان الأندلسي وغيره.¹

واستمر النقاش في التفسير العلمي إلى العصر الحديث، فالمعركة العلمية ما زالت مشتتة واشتد لهبها،² وتطور سلاحها، فتطرف من تطرف واعتدل من اعتدل.

وعبر أحد الطرفين بعبارة فيها تطرف وتشدد قائلا: ((وهذا القرآن يستحيل أن ينتفع به المسلمون إلا إذا قرؤوا جميع العلوم)).³ وقال خصمه من الطرف الآخر بعكس ما قاله خصمه معبرا هذا اللون من التفسير بأنه (بدعة حمقاء) ووصفه بأنه ((التفسير الحربائي))، لأنه يعتقد أن صاحبه يغير تفسيره حسب تغير العلوم⁴ والمستجدات.

فمن خلال ما سبق تظهر أهمية الدراسة في هذا الموضوع وهو التفسير العلمي التي توضح موقف العلماء المعاصرين تجاه هذا اللون من التفسير، وسيكون التركيز في هذا البحث على المعارضين منهم لإزالة الوهم وإيصال اليقين عند هؤلاء الذين قد يقع فيهم تساؤلات عن هذا، وليبين لهم على الوجه الأوضح

¹ ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، th ed., vol. 27 (القاهرة: مكتبة وهبة، 2000). ص. 349.

² الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، rd ed., vol. 13 (الرياض: مؤسسة الرسالة، 1997). ص 563

³ جوهرى، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن، ed. محمد عبد السلام شاهين، st ed., vol. 81 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004). ص. 218

⁴ الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. . ص 564

والأكمل والأسهل ليتأمل المتأمل فيه ثم يقف أعدل الموقف فلا يميل إلا ميلا يستفيد منه هو ويفيد بهرؤاء غيره فائدة ترضي رب العالمين.

مشكلات البحث

هذا البحث سوف يحل بعض مشكلات أو أسئلة كما يلي:

1. ما هو الرأي المعتدل المنصف في التفسير العلمي؟
2. كيف يتم النقد على بعض التفسيرات العلمية في العصر الحديث؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث أهدافا منها:

1. بيان الرأي المتوسط في المسألة
2. تبين كيفية النقد على التفسير العلمي في العصر الحديث

الدراسات السابقة

1. التفسير العلمي للقرآن، كتبه ظفر إسحق أنصاري، وهو البحث الذي يعد كاتبه تنمة للكتاب بعنوان: "التفاسير الإسلامية الحديثة للقرآن" لبلجون Baljon، تكلم فيه عن "هل القرآن: كتاب هداية أم كتاب علم؟"، ثم عن الربط بين تخلف المسلمين وإهمال الآيات الكونية في القرآن، ثم عن جهود الكشف عن التطابق بين علوم الطبيعة والآيات الكونية في القرآن
2. "مفهوم الماليلي محمد حمدي يازير في التفسير العلمي" بحث كتبه مسعود أوقوموش، تكلم فيه عن الصفة العلمية في تفسير الماليلي
3. "التفسير العلمي بين المفسرين وعلماء الكلام حتى القرن السابع الهجري" للباحث عمار عبد الكريم عبد المجيد، بحث فيه عن بيان اهتمام العلماء الأوائل بعد القرن الأول الهجري بآيات الآفاق والأنفس والالتفات إليها.
4. "التفسير العلمي وضوابطه عند المفسرين" للباحث تائر محمود عبيد وعلاء الدين حسين، البحث المركز فيه عن ضوابط التفسير العلمي عند المفسرين.

كل الدراسات السابقة لم تركز في التفسير العلمي للعصر الحديث، وهذا مما يمتاز هذا البحث عن غيره.

منهج البحث

وقد اتبعت المنهج الاستقرائي، و التحليلي النقدي.

البحث

التعريف الجامع المانع للتفسير العلمي

قد يتوهم أحد من مصطلح هذا اللون من التفسير وهو التفسير العلمي أن التفسير بلون آخر ليس بعلمي، وهذا للأسف الشديد لم يبينه كثير من الباحثين في هذا الأمر، فالباحثون سكتوا عن هذا لعل ذلك لوضوح المقصود عندهم، ولكن يرى الباحث أن العناية ببيان هذا من المهم حتى لا يلتبس الأمر عند الباحثين والطلاب خاصة المبتدؤون منهم.

فمن الباحثين الذين بينوا هذا الجانب فهد ابن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، وذكر أن المقصود بالعلم هنا العلم الطبيعي القائم على دراسة ما في الكون من مواد وعناصر وكائنات لها خصائصها الذاتية وأنظمتها التي تحكمها من كيمياء وطبيعة وميكانيكا وغير ذلك من علوم الطب والرياضة والفلك وما يتضمنه ذلك من حقائق كونية، وأن العمل في إطار هذا المفهوم للعلم هو تطبيق العلم عمليا باستعمال الأجهزة والأدوات والوسائل الأخرى الحديثة من مختبرات ومراسد وتجارب واستنباطات منطقية وغير ذلك.⁵ وإذا تأمل هذا متأمل لأدرك إدراكا جازما أن الأنواع الأخرى من ألوان التفسير كالتفسير الفقهي والعقدي والتفسير اللغوي، وغير ذلك أيضا من التفسير العلمي في الحقيقة، أما التفسير العلمي الذي نحن بصدد فهمناه أخص من ذلك كما سبق.

وأما التعريف للتفسير العلمي فإن كتب التفسير العلمي وغيره لا يكاد يذكر فيها تعريفه وبيان المراد منه ولعله يغفل هؤلاء تعريفه لأن المراد منه ظاهر، إلا أن الباحث يرى الحاجة إلى تعريف يحدد مجاله هنا على كل حال، والذي بدأ بذكر تعريف التفسير العلمي هو الأستاذ أمين الخولي، أما غيره فلم يأت بتعريف جديد إلا ما يقارب التعريف الذي جاء به.

⁵ الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان.

عرف الخولي التفسير العلمي أنه هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها.⁶

ونقل هذا التعريف محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون وهو لم يشير إلى مصدر التعريف إلا أن كتاب الخولي من مصادره فتبادر إلى الذهن أنه منقول منه.⁷

واختصر على هذا التعريف أيضا الدكتور موسى شاهين لاشين فقال في تعريفه: يقصد بالتفسير العلمي التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويحاول استخراج العلوم المختلفة من آياته وهذا التعريف الذي ذكره هو نفس التعريف السابق مع بعض التغيير، ولم يشير أيضاً إلى مصدره.⁸

وقال محمد الصباغ في تعريفه: «إنه تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية.⁹ ويبدو أن هذا التعريف تأثر بما جاء به الخولي.

نبه الباحث كما سبق أنه لا يكاد يوجد التعريف للتفسير العلمي لأن التعريفات الثلاثة المذكورة مرجعها إلى التعريف الذي عرف به الخولي، فهي إما ناقلة له بحروفه وإما ناقلة له بتقديم وتأخير وإما متأثرة به وبألفاظه.

الوجه المشترك بين هذه التعريفات المذكورة أنها تصف هذا اللون من التفسير بأنه «تحكيم» للمصطلحات العلمية في عبارة القرآن، ويرى الباحث أن في هذا التعبير شيئاً من المجاوزة. ومما سبق في التعريفات أيضاً أنها اجتمعت على عبارة «المصطلحات العلمية، ولم يذكر أحدهم الحقائق أو النظريات أو المكتشفات أو المشاهدات العلمية. وهذا يؤيد اتحاد مصدر التعريف عندهم.

⁶ الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، st ed1. (بيروت: دار المعرفة، 1961).. ص. 287

⁷ الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون.

⁸ لاشين، موسى شاهين، اللآلئ الحسان في علوم القرآن، 1st ed.، القاهرة: دار الشروق، 2002).

⁹ الصباغ، محمد بن لطف، محات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، 3rd ed.، بيروت: المكتب الإسلامي، 1990).

ومما يقرب الذهن إلى فهم تعريف التفسير العلمي ما ذكره الدكتور هند شلبي أن من أنواع التفسير تفاسير الاختصاص وقع الاهتمام فيها بعدد من الآيات تمت بموضوعها إلى العلوم الحديثة بصفة كالأيات الذي يذكر فيها الكون بأرضه وسمائه وكواكبه، والآيات التي تتحد عن الإنسان في خلقته وخلقه وعاداته في تفرده وفي اجتماعه.¹⁰ إلا أنها لم تصرح هنا بأنه هو التعريف، ولو كان هو تعريفاً، فإنه لم يكن جامعاً مانعاً. ويرى الباحث أن التعريف الأقرب إلى أن يكون جامعاً مانعاً ما ذكره الأستاذ فهد بن عبد الرحمن السلمي أن المراد بالتفسير العلمي: هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان.¹¹

ثم بين بعد ذلك بالتفصيل كما يلي:

- أن وصفه بـ «اجتهاد المفسر» ليستغرق التفسير العلمي سواء كان مقبولاً أم مرفوضاً، لأن المفسر يقوم بالاجتهاد فرما يصيب، ولا يستحيل أن يكون مخطئاً.
- ووصفه بأنه الربط والصلة ليشمل ما هو عين التفسير وما هو الخارج منه الذي من قبيله، وذلك كالاتئناس ببعض الآيات في بعض القضايا ونحو ذلك.
- ووصفه بـ «العلم التجريبي» ليحتز منه العلوم الأخرى كعلم الكلام والفلسفة ونحو ذلك.
- وقوله: «على وجه» لبيان ثمة هذا النوع من التفسير
- وقوله: «يدل على مصدره» القصد منه أنه إذا ثبت وتبين أن هناك التوافق بين نصوص القرآن الكريم وحقائق العلوم بدون أي تعارض بين نص قرآني وحقيقة علمية مهما كانت جدتها وحدائتها فإنه يستحيل أن يقول قائل إن مثل هذه النصوص من عند بشر.

شلبي، هند، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات (تونس، 1985)، ص. 14

¹¹ الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ص. 549

■ وقوله: «وصلاحيته لكل زمان و مكان المراد منه أنه صالح لكل وقت وفي أي موضع فلا أحد يأتي بما يطله شيئاً»¹²

هذا التعريف بالذات هو التعريف المختار الذي يميل إليه الباحث لأنه يراه جامعا مانعا.

المؤيدون والمعارضون للتفسير العلمي التجريبي في العصر الحديث.

الكلام عن المؤيدين للتفسير العلمي عادة لا يبدأ بذكر أحد قبل الإمام الغزالي لأنه أول من تكلم بهذا في عصره وفي العصور التي أتت بعده.¹³ فإنه بين في كتابه جواهر القرآن علم الله تعالى الذي لا نهاية له كبحر لا ساحل له، وفصل فيه أن من ذلك علم الشفاء والمرض، وعلم سير الشمس والقمر، وعلم التشريح، وكيفية الخلق، واستأنس في بيان ذلك بآيات من كتاب الله تعالى.¹⁴

أما أول من عارض هذه الفكرة من الأولين فحسب ما يعرف الباحث أنه الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات، حيث بين فيه أن هذه الشريعة أمية، والأمة منسوبة إلى الأم الذي بمعنى الباقي على أصل ولادة الأم الذي لم يتعلم كتابا ولا غيره، وفسر معنى الأمية في الحديث: نحن أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا))¹⁵ أنه ليس لنا علم بالحساب والكتاب ونحو ذلك. وأضاف إلى ذلك أن الشريعة لا بد أن كون على ما يعهده العرب، فإن لم تكن على ما يعهدون لم تكن معجزة.¹⁶

¹² الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان.ص. 550

¹³ علي، محمود النقراشي السيد، مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، 11 vol. st ed., (القصيم: مكتبة النهضة، 1986). ص. 42

¹⁴ الغزالي، أبو حامد، جواهر القرآن، ed. رضا، محمد رشيد، nd ed2. (بيروت: دار إحياء العلوم، 1986). ص. 44-47.

¹⁵ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ed. البغا، مصطفى ديب، 25 vol. th ed., (دمشق: دار ابن كثير، 1993). ص. 675

¹⁶ الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات، ed. آل سلمان، أبو عبيدة مشهور بن حسن، 21 vol. st ed., (القاهرة: دار ابن عفان، 1997). ص. 109-112

ومن المعاصرين من أيد هذا اللون من التفسير كمصطفى صادق الرافعي، وذلك تبين من كتابه إعجاز القرآن، فإنه وضع فيه موضوعا خاصا في هذا المجال وهو موضوع القرآن والعلوم، وبين فيه أن في هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعونا على تفسير بعض معاني القرآن والكشف عن حقائقه،¹⁷

و جاء قبله من القرن الثالث عشر الهجري محمد بن أحمد الإسكندري، وتأييده بان من كتابه كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية، والأرضية، والحيوانات، والنباتات، والجواهر المعدنية، حيث رتبته على مقدمة في الأحجار الفحمية، وثلاثة أبواب في الحيوانات والنباتات والأجرام الأرضية والسماوية.¹⁸

وهذا التيار، أي التيار الذي أيد التفسير العلمي فقد عارضه معارضون من المعاصرين كما أن بعض الأقدمين أيضا قد قاموا بالمعارضة كما سبق ذكره، فهؤلاء المعارضون المعارضون لهذا التفسير منهم محمود شلتوت، وأمين الخولي، ومحمد حسين الذهبي، ومحمد عزة دروزة، وغيرهم.

أما محمود شلتوت وهو من أبرز من عارض التفسير العلمي ومن أشهرهم. فإنه قد ذكر في تفسيره عن هذه المعارضة أن من طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث، وتعمقوا في شيء من النظريات العلمية والفلسفية والصحية، وغيرها أخذوا يفسرون آيات القرآن على مقتضى مكتشفاتهم، وبين شلتوت أن هؤلاء تأولوا بعض الآيات على نحو زين لهم أن يفتحوا في القرآن فتحاً جديداً، ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة، وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية، ثم قال

¹⁷ الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ed. دارويش الجويدي (بيروت: المكتبة العصرية، 2003). ص. 108

¹⁸ الإسكندري، محمد بن أحمد، كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية، والأرضية، والحيوانات، والنباتات، والجواهر المعدنية، ed. المزيدي، أحمد فريد، st ed., vol. 11 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2010). ص. 6.

معارضاً لتفسيرهم: وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام ويدعون له أبلغ دعاية في الأوساط العلمية والثقافية.

ولم يزل شلتوت ينقد هذا اللون من التفسير إلى أن قال: ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارة إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر، ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم، مبيانا أن ظاهرة العلوم التجريبية له أهمية في زيادة إيمان الناس، ولكن على وجه يصح حتى قال: وحسبنا أن القرآن لم يصادم - ولن يصادم - حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول».¹⁹

ومن المعارضين المعاصرين أمين الخولي، وإن كان محمود شلتوت من أبرز المعارضين ومن أشهرهم فإن أمين الخولي هو من أشد من جاء برفض هذا اللون من التفسير، فقد عقد الخولي في رسالته عن التفسير معالم حياته — منهجه اليوم جعل بحثاً خاصاً بعنوان: «إنكار التفسير العلمي» بين فيه رأي الشاطبي وأيده بأمور تدل على فساد اتجاه التفسير العلمي منها:

1. أن من الناحية اللغوية وقع التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن ما لم يكن معهوداً وقت نزول الوحي.

2. ومن الناحية الأدبية أو البلاغية، وذل كما أن البلاغة فيما يقال مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فهل كان القرآن على هذا النحو المتوسع من التفسير العلمي؟ وعارض سائلاً هل هذه المعاني العلمية المدعاة كانت هي المعاني المرادة بالقرآن فهل فهمها أهل العربية منه إذ ذاك وأدركوها؟

3. ومن الناحية الدينية أو الاعتقادية وهي التي تبين مهمة كتاب الدين وهل هو كتاب يتحدث إلى عقول الناس وقواهم العاملة عن مشكلات الكون وحقائق الوجود العلمية؟؟

¹⁹ ينظر: شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، th ed8. (بيروت: دار الشروق، 1981). ص.

ثم بين أن النوايا الطيبة لأصحاب التفسير العلمي من جعل الارتباط بين كتاب الدين والحقائق العلمية المختلفة ناحية من نواحي بيان صدقه أو إعجازه أو صلاحيته للبقاء... الخ، قد يكون ضره أكثر من نفعه، وإن كان لا بد لأصحاب هذه النوايا ذلك فإنه يكفي في هذا ألا يكون في كتاب الدين نص صريح يصادم حقيقة علمية يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده، وحسب كتاب الدين بهذا القدر صلاحية للحياة ومسايرة للعلم وخلصاً من النقد»²⁰.

وتبع محمد حسين الذهبي ما ذكره الخولي في رفض التفسير العلي، فإنه ذكر فساد هذا الاتجاه من النواحي الثالث التي ذكرها الخولي، وهي الناحية اللغوية، والبلاغية، والاعتقادية. كما أنه صرح بأنه يتجه اتجاه الشاطبي قائلاً: «أما أنا فاعتقادي أن الحق مع الشاطبي - رحمه الله - لأن الأدلة التي ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية لا يعترها ضعف ولا يتطرق إليها خلل.

وقال بعد ذلك «وإذا كان أرباب هذا المسلك في التفسير يستندون إلى ما تناولته بعض آيات القرآن من حقائق الكون ومشاهده ودعوة الله لهم بالنظر في كتاب الكون وآياته التي بثها في الآفاق وفي أنفسهم، إذا كانوا يستندون إلى مثل هذا في دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأولين والآخرين فهم مخطئون ولا شك وذلك لأن تناول القرآن الحقائق الكون ومشاهده ودعوته إلى النظر في ملكوت السموات والأرض وفي أنفسهم، لا يراد منه إلا رياضة وجدانات الناس وتوجيه عامتهم وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة في النفس وجلال في القلب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة»²¹.

فظهر مما شرحه الذهبي في رفضه القوي للتفسير العلمي أنه تأثر بفكرة الشاطبي وهو من السابقين، كما أنه تأثر أيضاً بفكرة الخولي وهو من المعاصرين.

²⁰ ينظر: الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. ص. 580-582

²¹ ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون. ص. 359-361

ومن قام بمعارضة التفسير العلمي محمد عزة دروزة، وهذا ظهر عند تفسيره لقوله تعالى : بلى قادرين على أن نسوي بنانه). فبين فيه أن استخراج النظريات العلمية والفنية والكونية من الكلمات والآيات القرآنية للتدليل على صدق القرآن وإعجازه يعتبر من قبيل تحميل كلمات القرآن على غير ما تتحمل، ورأى أ، هذا يخرج من نطاق قدسية القرآن وغايته، ويعرض له للجدل والنقاش.

وبين دروزة أنه ليس من مانع من الاستشهاد بعبارات من القرآن على ما في الكون من عظمة وعجائب ظاهرة وخفية أو مكتشفة حديثاً، بل هذا واجب، ولكن دون أن يخرج إلى نطاق التمحللات في التطبيقات الفنية كما وجد في بعض التفسيرات العلمية مما يؤدي إلى صرف آيات القرآن من هدفه القويم.²² ومن هنا اتضح للجميع أنه لا ينفي جواز الاستشهاد بالآيات القرآنية على مكتشفات حديثة، ولكن لا يكون في مجاوزة مما يجعل بعض آيات القرآن بعيدة عن الهدف الذي من أجله يظهر إعجازه.

الرأي المنصف في التفسير العلمي

من المعلوم لدى الجميع أن اختلاف الآراء شيء معهود ومسلم في ديننا، إلا أنه يحث أمته على الأخذ بالتوسط في كل الأمور من ذلك عند حدوث الاختلاف في فروع هذا الدين كالاختلاف بين العلماء في قبول أو رد التفسير العلمي.

وهنا يرى الباحث أن الرأي المختار هو الإنصاف بين فريقَي المؤيدين والمعارضين للتفسير العلمي، ومن نصح هذا المنهج السيد الجميلي كما صرح بمنقذ المؤيدين وبين ذلك في مقدمة كتابه أن يقال لمن أيد التفسير العلمي لا سيما المبالغين فيه: إن الكشوف العلمية تتغير من جيل إلى جيل، وذلك لأن العلم قد ينقض اليوم ما أبرمه قبل اليوم، وغدا قد ينقض ما أبرمه هذا اليوم، أما القرآن الكريم فإنه ثابت لا تغير له. لأن القرآن لا يأتيه الباطل على وجه من الوجوه، فهو ثابت محفوظ. ومن الفساد ربط شيء متغير بما هو ثابت لا يتغير، كما أن من الخطأ ربط الآيات القرآنية بمفاهيم تختلف فيها وجهات النظر اختلافاً كثيراً.

²² دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، vol. 22, nd ed., (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000). ص. 190

وفي نفس الوقت عارض الشيخ رأي المبالغين في معارضة التفسير العلمي الذي أنكر الإشارات العلمية أنهم قد أخطؤوا في الرأي والتقدير لأنهم يتجاهلون جانباً له أهمية بالغة وهو جانب الإشارات العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم، لأن في ذلك دعوة للتدبر في ملك الله سبحانه وتعالى.

ثم بين مذهبه وهو الأخذ بالتفسير العلمي للقرآن على حذر شديد، وفي حيطة بالغة، واحتباس وحثق وفطنة. فلا تحمل الألفاظ فوق ما تطبق، ولا يجب الصرف عن الظاهر إلا عند الضرورة، وذلك في حال استحالة المعنى الظاهر.²³

ونخرج نحو منهجه فهد بن عبد الرحمن الرومي، فإنه رأى الأخذ بالتفسير العلمي فلا إنكار للتفسير العلمي إذا كان هذا الإنكار يمنع من الأمور التي يظهر من خلالها إعجاز القرآن، وهي:

- إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن
- دفع زعم من قال بأن هناك تعارضاً بين الإسلام والعلم
- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من هذا الباب، وهذا قد يقودهم إلى الاقتناع به ثم يهديهم إليه
- الحث على الانتفاع بقوى الكون وماهبه
- الزيادة في الإيمان بعظمة الله وقدرته حين تدبر الإنسان الآيات الكونية وهو في نفس الوقت أنكر التسليم المطلق للتفسير العلمي لأمر آتية:
- أن إعجاز القرآن أمر ثابت فلا حاجة إلى أن يسلك في بيانه وتفسيره مسلماً متكلفاً قد يذهب وجه الإعجاز
- الهدف من الدعوة القرآنية إلى النظر في المخلوقات والعلوم هو العظة والعبرة لهداية الناس بها إلى خالقها، فتفسير القرآن غني عن أن يكون في بيان عن دقائقها والمبالغة في كشف علومها

²³ ينظر: الجميلي، السيد، الإعجاز العلمي في القرآن، nd ed2. (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1992). ص. 11-12

■ التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى كثير من الذين خاضوا فيه من المعاصرين، لأن عملية التوفيق تفترض عادة محاولة للجمع بين موفقين قد يتوهم أحدهما معترضان ولا اعتراض، أم يظن أنهما متفقان ملتقيان ولا لقاء بينهما، المقصود أنه لا ينبغي أن يحالف النجاح بصورة حتمية كل عملية من عمليات التوفيق.

■ أن التفسير العلمي بالطريقة التي يسلكها المعاصرون قد يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ القرآن، وذلك حين يحس المفسر بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة مع أن كثيرا من حقائق العلم مؤقتة ومتغيرة ولا تظهر دفعة واحدة، وحينئذ وقع في التعجل غير المشروع في تلمس المطابقة بين العلم والقرآن²⁴

وبهذا كله يرى الباحث أن الرأي المتوسط المنصف، لا تفريط ولا إفراط في التفسير العلمي هو الأخذ به ولكن مع حذر شديد ويقظة بالغة، وبدون مبالغة وخوض فيما قد يخرج ألفاظ القرآن من الغاية التي من أجلها نزل ومن مراده الذي من أجله فسره المفسرون القدامى، لأنه القرآن كتاب هداية، فإذا ما فسره عالم بأي لون من ألوان التفسير فإنه مقبول ما دام في حد مسموح، وبدون معارضة النصوص والأدلة الشرعية، وهو صادر عالم له أهلية كافية فيما فسره، لأن الوقوع في الخطأ في تفسير كتاب الله أمر خطير، والخطأ الذي يقع في التفسير العلمي عدده ليس بقله، والأخطاء التي اعترت التفسيرات العلمية للقرآن كما بينه أحمد محمد الفاضل تنحصر عادة في أمور أربعة، وهي:

1. عدم مراعاة القواعد النحوية وكثيرا ما يكون في عود الضمير.
2. المحافة بين اللغة ودلالاتها وبين هذا النوع من التفسير
3. التكلف والتعسف في التأويل للمعجزة الخارقة للعادة، ولعل ذلك من أجل أن تكون مقبولة في عقول الناس

²⁴ الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر.

4. إهمال بعض المفسرين بهذا النوع من التفسير السياق العام لآيات القرآن، وتفسيرها بمعزل عنه.²⁵

وبعد ذكر الرأي المختار، ثم ذكر الأخطاء التي وقعت غالباً في التفسير لعلمي، شرع الباحث بذكر بعض التفسيرات العلمية التي هي قابلة للنقاش.

نموذج التفسير العلمي في العصر الحديث والنقد عليه

في هذا المجال يعرض الباحث بعض الآيات التي فسرت بلون علمي من التفسير، ثم يأتي بالنقد عليه بالمقارنة بين التفسير العلمي وتفسير السلف في ذلك.

1. تفسير قوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

الإمام الطبري بين أن هذا المثل يضرب للذين الآلهة والأوثان من دون الله يرجون ضرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتياهم وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم كمثل العنكبوت في ضعفها، وقلة احتياها لنفسها اتخذت بيتاً لنفسها كيما يكنها فلم يبغ عنها شيئاً عند حاجتها إليه.²⁶

فالمشركون الذين اتخذوا أولياء من دون الله لم يبغ عنهم آهتهم حين نزل بهم أمر الله وحل بهم عقابه وغضبه، فليس لديهم أي قدرة على دفع ما حل بهم من عذاب الله وعقابه عنهم.

وكذلك ابن كثير في تفسير هذه الآية قال إن هذا مثل ضرب الله تعالى للمشركين حين يتخذون آلهة من دون الله يرجون بذلك رزقهم ونصرتهم ويتمسكون بهؤلاء الآلهة في الشدائد، فهم في ذلك كبيت

²⁵ القاضل، أحمد محمد، نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم (دمشق: مركز الناقد الثقافي، 2007).

²⁶ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ed. التركي، عبد الله بن عبد المحسن، st 1

ed., vol. 18 (القاهرة: دار هجر للطباعة والتوزيع والنشر والإعلان، 2001). ص. 403

العنكبوت في الوهن والضعف، فليس في أيدي هؤلاء من آهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت الذي يجدي عنه شيئاً.²⁷

أما الذين يفسرون القرآن الكريم تفسيراً علمياً فإنهم جئوا بكلام عجيب، فيدعون دعاوى بلا ضوابط ولا قيود علمية، وهم زعموا أن في هذه الآية إعجازاً علمياً لم يكن ظاهراً من قبل، وأصبح ظاهراً في العصر الحاضر عن طريق العلم الحديث.

فهذا مصطفى محمود، بين أن هذا الإعجاز العلمي يتمثل في أن الوهن المراد في الآية الذي وصف به بيت العنكبوت ما هو الوهن الحقيقي الظاهري للبيت كما علمه ذلك الجميع بداهة، ولكن المقصود هنا كما زعم أنه وهن داخلي خفي، وذلك لأن بيت العنكبوت الخارجي من الإحكام والقوة بمكان كما يزعمون. حتى قالوا إن خيط بيت العنكبوت من الحديد بضعفين أو أكثر، فالمراد بالوهن عنده في الآية إذا التفكك الأسري في العائلة العنكبوتية، فالأنثى تأكل الذكر بعد التلقيح، والصغار يأكل بعضهم بعضاً وهكذا، فهو بيت تنقطع فيه أواصر المحبة والإخاء، فهو أشبه ما يكون بأسرة إنسانية تنافر أفرادها وتخاصموا.²⁸

واستدل لرأيه بنهاية الآية: وَكَانُوا يَعْلَمُونَ (فليس هناك أحد يجهل أن بيت العنكبوت واه جداً، فلا بد من القول إذن إن الذي جهلوه هو هذا التفكك الداخلي بين أفراد الأسرة. وهذه الحقيقة العلمية كانت مجهولة من قبل، ولم تُعرف إلا في عصر العلم الذي نعيشه.²⁹

²⁷ القرشي، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ed. شمس الدين، محمد حسين، 61 vol., st ed.,

(بيروت: دار الكتب العلمية، 1998). ص. 252

²⁸ القاضل، أحمد محمد، نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم.

²⁹ محمود، مصطفى، القرآن - محاولة لفهم عصري للقرآن - متندى سور الأزيكية. (n.d.),

ومن نقل هذا الرأي محمد راتب النابلسي في كتابه موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة،³⁰ وتلقف كلام مصطفى محمود كل من جاء بعده ممن خاض في التفسير العلمي للقرآن الكريم . وقد اشتهر هذا المعنى العلمي للآية في الأوساط الدينية حتى إنك لو ذكرت غيره من المعاني التي تحملها الآية، لنسبت إلى الجهل وضالة الاطلاع،³¹ كما قال بهذا أحمد محمد الفاضل.

يقول مصطفى محمود في بيان هذه الحقيقة العلمية، وهذا الإعجاز القرآني: ((.. والحقيقة الملفتة للنظر هي وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ولم يقل القرآن الكريم خيط العنكبوت أو نسيج ... وإنما قال بيت والعلم كشف الآن بالقياس أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات فلماذا يقول القرآن: ((وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)) ولماذا يختم بكلمة: كَانُوا يَعْلَمُونَ؟³²

ثم قال: والواقع أن هناك سراً بيولوجياً كشف العلم عنه فالحقيقة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت أمان وسكينة وطمأنينة فالعنكبوت الأنتى هي التي تبني البيت وتغزل خيوطه، وهي الحاكمة عليه، وهي تقتل ذكرها بعد أن يلحقها وتأكله، والأبناء يأكل بعضهم بعضاً، ولهذا يعتمد الذكر إلى الفرار بجلده ... وتغزل الأنتى العنكبوت بيتها ليكون فخاً وكميناً ومقتلاً لكل حشرة؛ أي: إنه ليس بيتاً بل مذبحاً. وإنه أو هن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ)).³³

³⁰ النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، rd ed3. (دمشق: دار المكتبي، 2007). ص. 415

³¹ القاضل، أحمد محمد، نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم. ص 30

³² محمود، مصطفى، القرآن - محاولة لفهم عصري للقرآن-. 211

³³ محمود، مصطفى. 212.

والذي تأمل ما قاله مصطفى محمود لوجد أن قوله أبعد ما يكون عن مراد الآية؛ فإنه في غلطا من ثلاثة جواب³⁴ :

الأول: المبالغة والتشبيه؛ كما زعم بأن المقصود من الوهن في الآية الوهن الداخلي لا يتوافق مع تشبيهه رائع تريده الآية. فالمراد في الآية تشبيه صورة المشرك الذي جعل معبوده وهو الصنم ملجأ بقصد جلب النفع له، أو دفع الضرر عنه، ثم لا يجد أي نفع ولا يدفع عنه أي ضرر، بصورة العنكبوت التي تتعرض للخطر لضعفها وضعف بيتها، فتقفز إلى بيتها أيضاً بقصد دفع الأذى والضرر عن نفسها، لكن بيتها هذا لا يجدي شيئاً

تفسير مصطفى محمود يضيع هذه الصورة البلاغية الرائعة التي يريدنا القرآن الكريم إذ حمل الوهن على أنه داخلي ينتشر بين أفراد الأسرة العنكبوتية.

الثاني: اللغة؛ لأن القول إن العنكبوت هنا هي الأنثى خطأ واضح، لأن فيه مخالفة للعرف في اللغة العربية، فإن العنكبوت لا تكون موصوفة بأي من الوصفين الذكورة والأنوثة، وذلك كالنحل والدود والنملة وغير ذلك، وهو تأنيث لغوي فحسب، لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي كما زعم الطبيب مصطفى محمود . والنحلة أو العنكبوت قد تكون ذكراً كما قد تكون أنثى كما هو المعلوم عند أهل اللغة.

الثالث : المعنى والأسلوب ؛ لأن الاستدلال بقوله تعالى: ((كَاثِرًا يَعْلَمُونَ)) على أن الذي كانوا لا يعلمونه من قبل، هو هذا الذي كشفه العلم الطبيعي في هذا العصر من التفكك الأسري، استدلال واه؛ لأنه تعالى جهل المشركين لما لم يعملوا بما علموا؛ لأنهم في الحقيقة علموا أن الأوثان التي يعبدونها لا تنفع ولا تضر، لكنهم استكبروا واستنكفوا، فحملهم هذا الاستكبار والاستنكاف وتقليدهم آباءهم وأجدادهم على مخالفة ما علموه .

³⁴ القاضل، أحمد محمد، نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم. 31

وهذا من الأساليب القرآنية المعروفة، ونظير هذا وصف الله تعالى المنافقين بقوله: **صُمُّ بُكْمٌ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**. وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي بين دفتي المصاحف، وهم في الحقيقة ليسوا صمًّا ولا بكماً ولا عمياً، لكن لما لم يستفيدوا مما من الله عليهم من هذه الحواس، جعلها بمنزلة الأشياء المدومة والمعطلة، وكذلك الأمر في الآية التي بين خاض فيه الطيب خوضاً مخالفاً لما عهده المفسرون المتقدمون.

2. تفسير الآية: "يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ" [سورة الحج: 73].

الآية تضرب مثلاً يوضح ضعف الآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله، وهي الأصنام أو الآلهة الباطلة. تبين الآية أن هذه الآلهة المزعومة لا تقدر على خلق حتى أضعف المخلوقات مثل الذباب، بل ولو أن الذباب أخذ شيئاً من هذه الآلهة لا يستطيعون استرجاعه منه. وهذا يدل على ضعفهم وعجزهم. كما صرح بذلك ابن كثير قائلًا: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك. هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها. ثم يبين الله تعالى ضعف "الطالب" (الذي يعبد هذه الآلهة) و"المطلوب" (الآلهة المعبودة). كما روي عن السدي وغيره أن الطالب: العابد، والمطلوب: الصنم³⁵.

وفي بعض التفاسير الحديثة، حاول بعض المفسرين إيجاد ارتباط علمي بين هذه الآية وبين الدراسات العلمية الحديثة حول الذباب. فمثلاً، تم تفسير الآية على أنها تشير إلى قدرة الذباب على هضم الطعام بمجرد

³⁵ القرشي، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم. ج: 5، ص. 454

ملاسته له، ومن أجل ذلك يصبح من المستحيل استرجاعه من الذبابة بسبب تحول المادة في جهازها الهضمي.³⁶

فهذا التفسير بعيد عما يريده الآية الكريمة، وذلك من وجوه:

1. السياق القرآني: الآية تأتي في سياق الحديث عن التوحيد وبيان عجز الأصنام، وليس المقصود منها تقديم إعجاز علمي حول الذباب.
2. عدم ثبات العلوم: العلوم الطبيعية تتغير بتقدم الأبحاث، ومن الخطأ ربط النص القرآني الثابت بتفسيرات علمية قد تتغير أو تتطور.
3. الخطأ اللغوي، يتعلق بالضمير، لأن الضمير في الآية ((لن يخلق)) وهو واو الفاعل يعود إلى الأصنام لا إلى الناس، فالآية: ((إن الذين تدعون من دون الله)) وقوله تعالى ((وإن يسلبهم الذباب)) الضمير المفعول به في يسلبهم راجع إلى الأصنام أيضا فالمعنى من الآية إذا لو أن الذباب سلبت الصنم شيئا لما استطاع أن يسترده منها لأنه أضعف منها وأهون وأنى له ذلك؟ وهو لا حركة ولا حياة له؟³⁷

3. تفسير قوله تعالى: "فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا" (سورة يوسف: 96)،

إذا نظر ناظر إلى سياق الآية، فإنها تتحدث عن عودة بصر يعقوب عليه السلام بعدما فقدته بسبب حزنه الشديد على يوسف. البشير جاء بالقميص الذي ارتداه يوسف، وألقاه على وجه يعقوب، فأعاد له بصره، ومن العجيب عند علماء التفسير العلمي التجريبي ما يلي:

1. القول بأن القميص احتوى على مادة طبية شافية: فبعض التفسيرات العلمية ادعت أن قميص يوسف قد يكون قد امتص عرقه أو إفرازات أخرى تحتوي على مواد كيميائية أو دوائية أعادت ليعقوب بصره عند

³⁶ انظر: النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق. ص. 409-411؛ محمود،

مضطفي، القرآن - محاولة لفهم عصري للقرآن-. ص. 240-241

³⁷ القاضل، أحمد محمد، نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم. ص. 38

ملاسته عينيه. يُقال أن بعض العلماء في العصر الحديث حاولوا تقديم هذه الفرضية على أساس أن العرق يحتوي على مواد يمكن أن يكون لها تأثير على الجهاز البصري.

2. ادعاء أن التأثير كان نفسيًا بحتًا، فقبل إن عودة بصر يعقوب كان نتيجة تأثير نفسي قوي نتيجة الفرح بعودة يوسف، وأنه بسبب قوة الصدمة العاطفية الإيجابية حدثت هذه الاستجابة البصرية الفورية.³⁸

فهذا التفسير الذي زعم صابه أنه علمي يتجاهل الطبيعة الإعجازية في الحادثة. وقد بين المفسرون السابقون مثل ابن كثير والطبري أن عودة بصر يعقوب معجزة من الله وليس لها تفسير مادي أو طبي، فالقميمص في هذا السياق ليس سوى وسيلة استخدمها الله لتحقيق المعجزة، وليست له خاصية طبية بذاته.

فمن ناحية آخر فإن هذا التفسير أيضًا يفتقر إلى الاحترام لجوهر القصة القرآنية، التي تؤكد على التدخل الإلهي والمعجزة كجزء أساسي من سرد القصة. عودة بصر يعقوب كانت أمرًا خارقًا للعادة، وليس تأثيرًا نفسيًا. فإن نبي الله يعقوب عليه السلام فقد بصره بسبب الحزن الشديد، ولكن بإرادة الله، وبوصول القميمص، الذي كان رمزًا للخبر السار، أعيد إليه بصره في لحظة.³⁹

الخاتمة

التفسير العلمي ينبغي الحذر منه، فالأخذ به لا بد مع دقة في التنبه، فالرأي المعتدل في هذا اللون من ألوان التفسير المعاصرة هو الجواز ولكن مع مراعاة الأمور التي بها يكون التفسير صحيحًا مقبولًا. لا يقال إنه مردود مطلقًا أو مقبول بدون أي شروط. فلا بد أن يكون التفسير العلمي بعيدًا عن حمل الألفاظ فوق ما تطبق، كما أنه لا يجب الصرف عن المعنى الظاهر إلا عند الضرورة، وذلك يكون عند استحالة المعنى الظاهر.

³⁸ دياب، عبد الحميد and قرقوز، أحمد، مع الطب في القرآن الكريم، st ed1. (مؤسسة علوم القرآن، 1980). ص.

³⁹ انظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ ج. 16، ص. 258 والقرشي، إسماعيل بن

يوجه بعض التفسير العلمي المعاصر بعض النقد من جوانب متنوعة، وهذه الجوانب منها جانب السياق، اللغة، المعنى، الأسلوب. كما وقع هذا النقد فيما فسره أتباع هذا التفسير عند تفسير بعض الآيات، كتفسيرهم لقوله تعالى: " مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"، وقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَأِيسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ"، وقوله تعالى: " فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا"

ويتضح بعد تفسيرهم لهذه الآيات عن المراد فيها عند مقارنته بما فسره علماء التفسير السابقين المتقنين في هذا الفن، كالإمام الطبري، وابن كثير، وغيرهما من المفسرين الذين اعترف بعلو مكانتهم في هذا الفن كل القاصي والداني.

فهرس المصادر

- 'Alī, Maḥmūd, al-Naqrāsī al-Sayyid. *Manāhij al-Mufasssīrīn min al-'Aṣr al-Awwal ilā al-'Aṣr al-ḥadīs*. Al-Qaṣīm: Maktabah al-Nahḍah, 1986.
- Al-Bukhārī, Muḥammad bin Ismā'īl. *Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī*. Cet. I, t.t.: Dār Ṭūq al-Najāh, 1422 H.
- Al-Fāḍil, Aḥmad Muḥammad. *Naqd al-Tafsīr al-'Ilmī wa al-'Adadī al-Mu'āṣir li al-Qur'ān al-Karīm*. Dimasyq: Markaz al-Nāqid al-ṣāqāfi, 2007.
- Al-Gazālī, Abū Hāmid. *Jawāhir al-Qur'ān*. Cet. II, Bairūt: Dār Iḥyā al-'Ulūm, 1986.
- Al-Iskandarānī, Muḥammad bin Aḥmad. *Kasyf al-Asrār al-Nūrāniyyah al-Qur'āniyyah fīmā Yata'allaqu bi al-Ajrām al-Samāwiyyah wa al-Arḍiyyah wa al-ḥayawānāt*. Cet. I, Bairūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2010.
- Al-Jamīlī, al-Sayyid. *Al-I'jāz al-'Ilmī fī al-Qur'ān*. Cet. II, Bairūt: Dār al-Hilāl, 1992.
- Al-Khaulī, Amīn. *Manāhij Taḥdīd fī al-Naḥw wa al-Balāghah wa al-Tafsīr wa al-Adab*. Cet. I, Bairūt: Dār al-Ma'rifah, 1961.
- Al-Nābilsī, Muḥammad Rātīb. *Mausū'ah al-I'jāz al-'Ilmī fī al-Qur'ān wa al-Sunnah*. Dimasyq: Dār al-Maktabī, 2007.
- Al-Rāfi'ī, Muṣṭafā Ṣādiq. *I'jāz al-Qur'ān wa al-Balāghah al-Nabawiyyah*. Bairūt: al-Maktabah al-'Aṣriyyah, 2003.
- Al-Rūmī, Fahd bin 'Abd al-Raḥmān bin Salmān. *Ittijāhāt al-Tafsīr fī al-Qur'ān al-Rābi' 'Asyr*. Cet. I, al-Riyāḍ: Muassasah al-Risālah, 1997.
- Al-Syāṭibī, Ibrāhīm bin Mūsā. *Al-Muwāfaqāt*. Cet. I, t.t.: Dār Ibn 'Affān, 1417 H/ 1997 M.
- Al-Ṭabarī, Muḥammad bin Jarir, *Jāmi' Al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān*. Cet. I, t.t.: Muassah al-Risālah, 1420H / 2000M.
- Al-Ḍahabī, Muḥammad Ḥusain. *Al-Tafsīr wa al-Mufasssīrūn*. Cet. II, al-Qāhirah: Maktabah Wahbah, 2000.
- Darwīzah, Muḥammad 'Izzah. *Al-Tafsīr al-ḥadīs*. Cet. II, Bairūt: Dār al-Garb al-Islāmī, 2000.
- Diyāb, 'Abd al-Hamīd. *Ma'a al-ṭib fī al-Qur'ān al-Karīm*. Cet. I, t.t.: Muassasah 'Ulūm al-Qur'ān, 1980.
- Ibnu Kaṣīr, Ismā'īl bin 'Umar. *Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm*. Bairūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1998.
- Jauharī, ṭantāwī. *Al-Jawāhir fī Tafsīr al-Qur'ān*. Bairūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2004.
- Lāsyīn, Mūsā Syāhīn. *Al-Lāli' al-Hassān fī 'Ulūm al-Qur'ān*. Cet. I, al-Qāhirah: Dār al-Syurūq, 2002.
- Syalbī, Hind. *al-Tafsīr al-'Ilmī li al-Qur'ān al-Karīm baina al-Nazariyyāt wa al-Taṭbīq*. Tūnis, 1985.
- Syiltūt, Muḥammad. *Tafsīr al-Qur'ān al-Karīm al-Ajzā' al-'Asyrah al-ūlā*. Bairūt: Dār al-Syurūq, 1981.